مجلة العلوم الإنسانية —— عدد 48 ديسمبر2017، المجلد أ، ص. ص 159-171 ——

الإخباريّات في شعر الطّيور الأندلسيّ خلال القرن الخامس الهجريّ

هناء شبايكي
كلية الآداب و اللغات
جامعة العربي بن مهيدي
أم البواقي

ملخص:
تهدف الدّراسة إلى تقصّي ذكر الطّيور في مدوّنات عدد من شعراء القرن الخامس الهجريّ في بلاد الأندلس، من حيث أنواعها واختلاف نظرة الشّعراء إليها، وقد وُظِّفَ المنهج التّداوليّ، باعتباره من أهم الآليّات الفعّالة التي اعتمدها البحث اللّغويّ المعاصر في مقاربة مختلف النّصوص الأدبيّة، وتنحصر الدّراسة بالتّدقيق في جزئيّة واحدة تتمثّل في **الإخباريّات** وهي أولى التّصنيفات التي وضعها **سيرل** في بيانه لأنواع الأفعال الكلاميّة، واحتوت الدّراسة بداية بيانا لذكر الطّيور في القرآن الكريم والموروث الثّقافيّ الإنسانيّ، ثم تحليلا للإخباريّات الواردة من خلال عرض نماذج وتحليلها.
الكلمات المفتاحية: الطّيور- القرن الخامس الهجريّ، الأندلس، الإخباريّات، سيرل

Abstract:
This study aims at investigating reference to birds in the writings of a number of the fifth hijri century poets in ANDALUSIA, focus is on birds types and the way they are viewed by poets.
The PRAGMATIC approach was used being considered one of the most effective tools underlying modern linguistic research when it comes to approaching diverse literary texts.
More specifically, the study targets 'INFORMATIVES' put forth by 'SEARLE' in his speech acts theary.
This study includes at first a survey of birds reference in AL QURAN and the human cultural heritage, then an analysis of the informatives found by presenting models and analysing them.

مقدّمة:

خطّ علماؤنا الأوائل مصنّفات نفيسة في موضوع الحيوان نذكر منهم: الجاحظ (ت255ه) في موسوعته الحيوان، أبو حيّان التّوحيديّ (ت414 ه) في " الإمتاع والمؤانسة"، ابن سينا(428ه) في كتابه الكبير"الشّفاء"، القزويني (ت682ه) في كتابه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، الدّميري (ت808ه) في كتابه "حياة الحيوان الكبرى".

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر2017

وقد حوَت هذه الكتب - وغيرُها من المصنّفات- في طيّاتها كثيرا ممّا تعلّق بسلوك الحيوان وطباعه وانفعالاته وطرق عيشه، مما يؤكّد اهتمام الفكر العربي –عموما- بموضوع الحيوان منذ القدم، فالحيوان عمومًا والطّير خصوصا – موضوع دراستنا- يشارك الإنسان حياته منذ الأزل فوق أرض واحدة وفضاء واحد.

ويعدّ البحث في تجليّات هذه العلاقة موضوعًـــا ذا أهميّة بالغة وظاهرةً لهَا تميُّز بيّـــــنٌ في نواحٍ عديدةٍ، والمتأمّل في شعرنا العربيّ عبر مختلف العصور الأدبيّة يلمس حضورًا واسعًا لموضوع الطّيور.

فكيف بدا ذكر الطّيور في القرآن الكريم؟ و كذا في الموروث الثّقافيّ الإنسانيّ؟ ثم كيف كانت نظرة الشّعراء الأندلسيّين للطّيور في القرن الخامس الهجريّ ؟ وما هي أشهر أنواع الطيور المتواجدة في بلاد الأندلس؟ وهل اختلفت دلالات توظيفها عند الشّعراء؟

أولا: الطيور في القرآن الكريم

تعدّ الطّيور أمّة من الأمم التي خلقها الله عزّ وجلّ، صوّرها في أحسن صورة وأجمل لون وعظّمها بذكرها أكثر من مرّة في القرآن الكريم، واستخدمها كمضرب للأمثال وعبرة لمن يعي.

- يقول الله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[1].

في الآية خطابٌ للمشركين ودعوةٌ إلى التبصُّر والتّعجُّب في خلق الطّير فطيرانُه في الهواء مع ثقل جسمه مما يُعجَب منه ويُـــعتَبَر به، لقد خُلقت الطّير (مسخّرات) بمعنى مذلّلات للطّيران ، بما خلق الله لها من الأجنحة والأسباب المواتية، قال أبو عبد الله الرّازي: هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته، فإنّه تعالى خلق الطّائر خلقة معها يمكنه الطّيران، أعطاه جناحا يبسطه مرة ويكنّـــه أخرى مثل ما يعمل السّابح في الماء، وخلق الجوّ خلقة يمكنه معها الطّيران، ما يمسكهـــنّ في قبضهنّ وبسطهنّ ووقوفهنّ إلّا الله عزّ وجلّ وفي ذلك التّذليل والإمساك لدلالات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلّة على قدرة الله.[2]

ثانيا: الطيور في الموروث الثقافي الإنساني

تشاركُ الطّيور الإنسان الحياة على أرض واحدة وفضاء جغرافيّ واحد، فأينما ذهبت أو سافرت من المحتمل أن ترى أنواعا مختلفة من الطّيور وتسمع القصص والحكايات الشّعبيّة عن هذه المخلوقات الجميلة والغامضة في بعض الأحيان، وعلى هذا النّحو ظهرت الطّيور في الفولكلور في العديد من الثّقافات ومجموعة متنوّعة من الخرافات والأساطير والحكايات والمعتقدات التي تدور حول مختلف أنواع الطّيور وترمز الطّيور المحلّقة في السّماء إلى القوّة والحرّيّـــة على مرّ العصور.[3]

كانت الطّيور في كثير من الخرافات والأساطير الخيط الواصل بين العالم البشريّ والعوالم الإلهية أو الخارقة، كما أنّ لبعضها أدوارا متعدّدة في الفولكلور سواء بوصفها رسلا للآلهة أو طوالع مرعبة فمنها ما هو مقدّس والبعض الآخر تحتقر لجلبها النّحس.[4]

يعتقد البعض أن غرابا ألقى الحصى في المحيط الأزرق لتتشكّل بذلك قارّات العالم في النّهاية، ويعتقد أيضا أن الغراب الآلهة هو المسؤول عن خلق الحيوانات والبشر وعلى العكس من ذلك ينعت الغراب عند بعض الشّعوب الأخرى بنذير الخراب والموت، كما يحضر طائر البوم عادة في فولكلور عدد من الثّـــقافات ولعدّة قرون اعتبر البوم حاملا للنّبوّة وكانت تعتبر رمزا للحكمة، أما النّسر – ويسمّى ملك الطّيور- فإنه يرتبط في أغلب الأحيان بالآلهة أو الملك القديم وتظهر رسومات في الشّرق الأدنى القديم الشّمس محاطة بأجنحة النّسر في إشارة إلى أن الطّيور كانت مرتبطة بآلهة الشّمس، أما الحمام فكان رمزا للحبّ والخصوبة في حضارات الشّرق الأدنى القديم واليونان، وفي الصّين يرمز الحمام إلى الهدوء والإخلاص في الزّواج، في حين أنّه يجسّد الرّوح في الهند.[5]

لقد حملت الأساطير حكايات الخير والشرّ عن الخفافيش، وربطت الأساطير الصّينية الخفافيش بالحظّ الجيّد، أمّا السّرب المكوّن من خمسة خفافيش فإنه يمثّل الأبواب الخمسة للسّعادة وهي: الثّروة، الصّحة، طول العمر، الفضيلة والموت الطبيعيّ، إلّا أنّ هذا الطّائر يرتبط في بعض الأساطير الأخرى بالسّحرة أو الأرواح الشّريرة وعادّة ما تصوّر الشّياطين على شكل أجنحة الخفافيش.[6]

ثالثا: الإخباريات ASSERTIVES

يُعدّ البحث في الأفعال الكلاميّة بحثًا في صميم التّداوليّة اللّغوية، بل إنَّ التّداوليّة في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلاميّة.

إذ تُعدّ الأفعال الكلاميّة الأساس الجوهريّ الذي انبنى عليه الاتّجاه التّداولي، وضعه الفيلسوف " **أوستن** " وطوّره من بعده تلميذه" **ج .سورل**".

لقد جعل سيرل الأفعال الكلاميّة خمسة أصناف هي: الإخباريّات assertives، التّوجيهيّات directives، الالتزاميّات commissitives، التّعبيريّات expressitives ، الإعلانيّات declarations.

إن الإخباريّات هي أولى التّصنيفات وتعرف أيضا بالتّمثيليّات، التّأكيديّات، التّقريريّات، الجزميّات أفعال الإثبات - الإثباتيّات.

الغرض الإنجازيّ فيها هو نقل المتكلّم واقعة ما(بدرجات متفاوتة) من خلال قضيّة Proposition يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصّنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم words-to-world.[7]

والهدف من الإخباريات تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم، وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة.[8]

ويشمل هذا القسم من أفعال الكلام كلّ الأفعال والعبارات التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وغرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة، ولن يتأتّى ذلك إلا بتوفّر شرط القصد في الإبلاغ.[9]

من شواهد **الإخباريات** عند شعراء القرن الخامس الهجري والتي حملت في طيّاتها ذكر الطّيور ما يأتي:

1- في ذكر الغراب

❖ **يقول ابن الحدّاد الأندلسي:**[10]

ت1- وَالنَّاسُ أَغْرِبَةٌ إِذَا قَايَسْتَهُمْ وَأَخُو المُصَافَاةِ الغُرَابُ الأَبْيَضُ

استعمل ابن الحدّاد الأندلسيّ في التّركيب (ت1) الفعل (قَايَسَ) في صيغة الماضي، والغرض الإنجازيّ العامّ هنا هو التّقرير، إذ ينقل الشّاعر صورة معيّنة عن واقع معيّن يخبر فيه بأنْ ليس له أصدقاء يؤتمنون، وقد وظّف طائر الغراب في لفظ (الأغربة) جمع غراب، وهو طائر أسود من أخبث الطيور يضرب به المثل في الشّؤم فيقال: أشأم من غراب، وأفسق من غراب، وأشأم من غراب البين، والغراب الأبيض يضرب به المثل في النّدرة لأنّه لا يكاد يوجد وكذلك هم الأصدقاء المؤتمنون نادرون.

❖ **يقول ابن خفاجة الأندلسي:**[11]

ت2- وَرُبَّ لَيْلٍ سَهِرْتُ فِيهِ أَزْجُرُ مِنْ جِنْحِهِ نِكَابَا
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَ سُكْرًا وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابَا
وَحَامَ مِنْ سُدْفِهِ غُرَابٌ طَالَتْ بِهِ سِنُّهُ فَشَابَا
ازْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا فَحَثَّ مِنْ غُلَّتِي شَرَابَا

ويقول ابن خفاجة أيضا:[12]

ت3- كَأَنِّي وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ حَمَامَةٌ يَمُدُّ جَنَاحَيْهِ عَلَيَّ غُرَابُ

وظّف ابن خفاجة في التّركيب (ت2) جملة من الأفعال في صيغة الماضي "سَهِرْتُ، مَالَ، شَقَّ، جَابَ، حَامَ، طَالَتْ، شَابَ، ازْدَدْتُ، حَثَّ" لينقل واقعة معيّنة بتوظيفه طائر الغراب في صورة بيانيّة رائعة، فالشّاعر يخبر عن طول فراقه لمحبوبته طولا يجعل الغراب الأسود يشيب – والغراب لا يشيب- و قد كان للماء دور مهمّ في إيضاح وصفه لحالته النّفسيّة و لوعته وشوقه للمرأة، إذ يصف نفسه قبل قدومها إليه وقد انهمرت دموعه شوقا، وكأنّ جفنيه مسيل دموع، ونجده في التّركيب (ت3) يخبر عن حالة نفسيّة تعتريه، بتوظيفه الفعل الماضي (طَارَ) والغرض الإنجازيّ العامّ هنا هو التّقرير، فالشّاعر يحسّ بأنه مطارد من قبل المنايا، كما لو كان حمامة وديعة يطير الغراب ليقتنصها، وفي ذلك إشارة للموت، وتلك

سنّة الله في الكون فلا بقاء لحيّ، والموت شرّ كلّ النّاس ملاقيه، فصار الغراب بسواده موتا مخيفا يتصيّد الشّاعر.

❖ **يقول ابن دراج القسطلي:**[13]

ت4- وَعُنِيـــتُ مُغْرًى بِالغَوَانِي وَالصِّبَا وَاللَّهْوِ وَاللَّـــــذَّاتُ قَـــدْ تُغْـــرَى بِي
فِي غَـــــمْرَةٍ لَا تَنْقَضِي نَشَوَاتُهَا مِنْ صَرْفِ كَأْسٍ أَوْ جُفُونِ كِتَابِ
أَيَّامَ لَا نَرْتَاعُ مِنْ صِرْفِ النَّوَى أَمْنًا وَلَا نُصْـــــغِي لِنَعْـــــبِ غُـرَابِ
أَيَّامَ وَجْـــــهُ الدَّهْرِ نَحْوِي مُشْرِقٌ وَمَـــحَاسِـــنُ الدُّنْـــيَا بِـغَيْـرِ نِـقَابِ

يخبر ابن درّاج القسطليّ في التّركيب (ت4) عن حاله وقت شبابه وصباه، وانصرافه إلى الملذّات، إذ كان لا يسعى -على غرار أقرانه- إلّا إلى البحث عن الفرح والسّعادة والنّشوة، وقد وظّف الفعل الماضي(عُنِيتُ) ليفيد التّقرير، وينقل واقعا معيّنا عايشه الشّاعر فيما مضى، لينتقل إلى توظيف جملة من الأفعال في صيغة المضارع (تَنْقَضِي، نَرْتَاعُ، نُصْغِي) والانتقال من الماضي إلى المضارع لم يأت اعتباطا من الشّاعر، فالمضارع يفيد الحال والمستقبل و الاستمراريّة، تعبيرا منه عن طول المدّة التي بقي فيها على تلك الحال ليحذّر من خلالها الشّاعر عن سوء حال أو سوء عاقبة، وجاء توظيفه لطائر الغراب مناسبا تماما للحالة النّفسيّة التي تنتابه فنعيب الغراب طالما أنبأ بالشّؤم.

❖ **يقول ابن زيدون:**[14]

ت5- مَا الهَجْرُ إِلَّا البَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْحُ فَاهُ بِهِ الغُرَابُ نَعِيبَا

يقرّ ابن زيدون في التّركيب (ت5) بأن الغراب استثناءً - وفي هذه المرّة - لم يصدر صوت نعيبه ليخبر بذلك الهجر المميت، والنّعيبُ نذير الفراق عند العرب ويسمّون الغراب الأبقع غراب البين، وما رؤية الغراب إلّا دليل على الهجر والبين، وما النّعيب إلّا تأكيد على ذلك، والغرض العامّ في هذا التّركيب هو التّقرير لنقل وضع معيّن لفائدة المتلقّي.

❖ **يقول ابن حمديس الصقلي:**[15]

ت6- أَنَا مَنْ صَـــاحَ بِهِ يَـــــوْمَ النَّـــوَى عَنْ مَغَـــانِيـــهِ غُـــرابٌ فَاغْتَـــــرَبْ

ويقول أيضا:[16]

ت7- أَشَارَتْ وَسُحْبُ الدَّمْعِ دَائِمَةُ السَّفْحِ بِأَنَّ غُرَابَ البَـــيْنِ يَنْعَبُ فِي الصُّبْحِ
فَقُـــــلْتُ أَقِيمِي مِنْ عِقَاصِكِ صِبْغَةً عَلَى اللَّيْلِ تَهْدِي مِنْهُ جُنْحًا إِلَى جُنْحِ
عَسَى طُولَهُ تَثْنِي عَنِ البَيْـــنِ غُرَّهُمْ وَيُفْضِي بِهِ حَرْبُ الفِرَاقِ إِلَى الصُّلْحِ

نجد ابن حمديس الصّقلّيّ يخبر في التّركيب (ت6) عن واقع معيّن عايشه ميّزته الغربة و البعد عن صقليّة، بتوظيفه الفعلين الماضيين (صَاحَ، اغْتَرَبْ)، والماضي عمومًا يفيد التّقرير، حتّى صار الشّاعر لا يسمع إلّا نعيب الغراب، نذير الفراق والبعد، ولعلّ الغريب عادةً ما يكون صادقا في تعبيره وإخباره عن حاله لأن الغربة لا يشعر بها إلّا من عاشها وعرف مرارتها ، وهو في التّركيب (ت7) قد وظّف جملة من الأفعال (أَشَارَتْ، قُلْتُ، يَنْعَبُ، تَهْدِي، تَثْنِي، يُفْضِي) تنقل إلى ذهن المتلقّي وقائعا يقصد من خلالها الشّاعر الإخبار بأن محبوبته قد قالت له والدّموع تنزل من عينيها، بأنّها لاحظت غراب البين ينعب في الصّبح مخبرا عن وقت الرّحيل، وقد جاء انتقال الشّاعر من توظيف الأفعال في زمن الماضي إلى المضارع رغبة منه في تغيير الحال و الطّموح لمستقبل أفضل، ويبقى دائما توظيف الغراب عند الشّعراء مرتبطا بالتّعبير عن المشاعر التي تصحب البين والهجر والفراق.

❖ **يقول ابن اللبانة الداني:** [17]

ت8- وَفِي القَيْظِ مَا يَدْعُـــو البَيَاضَ لِلَابِسٍ يَكُـــــونُ بِـــــهِ بَـــــــرْدٌ لَـــهُ وَسَـــلَامُ
لَبِسْتُ سَـــوَادًا وَالجَمِـــيعُ مُبَيَّـــــضٌ كَـــأَنِي غُـــــــرَابٌ وَالأَنَـــامُ حَمَامُ

يخبر ابن اللّبّانة الدّاني في هذين البيتين (ت8) عن حالة نفسيّة معيّنة، إذ انتابه حزن شديد جعله على خلاف جميع النّاس يرتدي سوادا في شدّة القيظ حتى غدا كالغراب بين الحمام، وهو بتوظيفه لطائر الغراب قد رسم صورة واضحة في ذهن المتلقّي كما لو أنه يرى ذلك صوب عينيه.

❖ **يقول المعتمد** :[18]

ت9- غِــرْبَانَ أَغْــمَاتَ لَا تُعْدَمْــــــنَ طيبةً مِــنَ اللَّــــــــيَالِي وَأَفْنَانًا مِنَ الشَّجَــرِ
كَمَا نَعَــبْتُــــنَّ لِي بِالفَأْلِ يُعْــــجِــــبُنِي مُخْبِــرَاتٍ بِهِ عَنْ أَطْــــيَبِ الـخَــبَرِ
أَنَّ النُّجُــومَ التِي غَابَتْ قَدِ اقْتَــرَبَتْ مِنَّا مَطَالِعُــــــهَا تَسْرِي إِلَى القَــــــمَرِ
عَلَيَّ إِنْ صَــدَّقَ الرَّحْمَنُ مَا زَعَمَتْ أَلَّا يُرَوِّعْنَ مِنْ قَوْسِي وَلَا وَتَــــــرِي

يحيد المعتمد بن عبّاد في التّركيب (ت9) عن قاعدة ارتباط توظيف الغراب بالفراق والبين، فقد وظّف جملة من الأفعال في صيغة الماضي (نَعَبْتُنَّ، غَابَتْ، اقْتَرَبَتْ، زَعَمَتْ،) ليعبّر عن وقائع معيّنة تنقل إلى ذهن المتلقّي صورة صادقة عن ما يعايشه في سجنه، إذ حمل له نعيب غربان أغمات الفأل الحسن، إذ بعد إصدارها لتلك الأصوات بجوار المكان الذي كان أسيرا فيه، ورد إليه النّبأ بقدوم بعض نسائه عليه، كأنّ الغربان أرادت بذلك النّعيب إخباره بقدومهنّ، حتى إنّه وعد أن لا يروّع الغربان ما عاش إن صدق نعيبها، والغرض الإنجازي العام هنا هو التّقرير ونقل الأحداث.

2- في ذكر العصافير

❖ **يقول ابن حمديس الصّقلّيّ**:[19]

ت1- وَرَوْضَةُ حُسْنٍ غَرَّدَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا عَصَافِيرُ حَلْيٍ تَلْقُطُ الدُرَّ لَا الحَبَّا

يخبر ابن حمديس الصّقلّيّ في التّركيب (ت1) عن واقعة معيّنة غرضها الإنجازي التّقرير من خلال توظيف الفعلين (غَرَّدَتْ، تَلْقُطُ)، ينقل من خلالها الشّاعر إلى ذهن المتلقّي أحداثا بعينها عايشها الشّاعر، إذ شبّهَ الرّوضة بالمرأة تطير فوق نحرها عصافير استغنت عن التقاط الحَبّ وصارت تلقط الدّرّ، وهو ما تتزيّن به المرأة عادة، في إشارة لجمال هذه المرأة.

3- في ذكر العقاب

❖ **يقول ابن خفاجة الأندلسي:**[20]

ت1- طَافَ الظَّلَامُ بِهِ فَأَسْرَجَ أَدْهَمَا وَسَمَا السِّمَاكُ بِهِ فَأَشْرَعَ لَهْذَمَا
وَسَرَى يَطِيرُ بِهِ عُقَابٌ كَاسِــــرٌ أَمْسَى يُلَاعِبُ مِنْ عِنَانٍ أَرْقَمَا
مِنْ لَيْلَةٍ غَنَّــــيْتُ فِيــــهَا أَنْــــتَنِي طَرَبًا وَأَسْعَــــدَنِي المَطِيُّ فَأَرْزَمَا

ينقل ابن خفاجة الأندلسيّ في التّركيب (ت1) إلى ذهن المتلقّي جملة من الأحداث عن طريق توظيفه لأفعال معيّنة جاء جلّها في صيغة الماضي الذي يفيد التّقرير (طَافَ، أَسْرَجَ، سَمَا، أَشْرَعَ، سَرَى، أَمْسَى، غَنَّيْتُ، أَسْعَدَنِي، أَرْزَمَا) ليصف ليلة وقد صار ظلامها سراجا لفرسه، وسما النّجم فعلا وارتفع وبدا يحلّق في السّماء عقاب كاسر مستمتع بتحليقه، وهنا نجد الشّاعر قد وظّف طائر العقاب ووصفه بالتّحليق ليلا، في حين يعرف على العقبان أنها تصطاد بالنّهار بينما تُمضي اللّيل في أوكارها أو في مجثم آمن، إن خروج العقاب ليلا على غير العادة يبيّن أن هذه الليلة مميّزة جدّا إذ بدا فيها الشّاعر متغنّيا طربا فرحا متفاعلا مع ناقته التي حنّت فأتته طوعا.

يقول ابن الزقاق البلنسي:[21]

ت2- رَايَــــاتُهُ وَالنَّــــصْرُ مَعْقُــــــــــــودٌ بِهَا كَقُلُــوبِ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي الخَــفَقَــانِ
وَجُنُودُهُ كَالأُسْــــدِ مَأْلَفُــــهَا الشَّــرَى وَالصَّافِنَــــاتُ الجُــــرْدُ كَالعِــــــقْبَانِ
تَطَأُ الجَمَاجِــــمَ تَحْــتَهُمْ فَــــــكَأَنَّــمَا قَدْ أَنْعَــــلُوا بِالــهَامِ كُلَّ حِصَــــــانِ

شبّه ابن الزّقاق في التّركيب (ت2) رايات الجيش المنصور بقلوب أهل الشّرك في الخفقان، ومما لا شكّ فيه أن الخوف الذي يعتري ويسيطر على المشركين عظيم ممّا يجعل أفئدتهم تكاد تنفجر، وكذلك هي رايات الجيش المسلم التي تهتزّ فرحا وعزّا بانتصارها، وشبّه جنود الجيش بالأسد على خيول كالعقبان، وتشبيه الخيول بالعقبان يدلّ على قوّتها وبسالتها، فالعقاب من أقوى الطّيور الجارحة في العالم، إن الغرض الإنجازيّ العامّ هنا هو التّقرير ونقل الأحداث بصدق.

❖ **يقول ابن اللبانة الداني:**[22]

ت3- رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ العُقَابِ فَأَصْبَحُوا نَــشَــــــاوَى مِنَ البَــلْــــوَى كَــــــأَنَّــهُمْ شِــــرْبُ

يخبر ابن اللّبّانة في التّركيب (ت3) عن واقعة معيّنة يصفها بدقّة في هذه القصيدة، التي يمدح فيها المتوكّل عند قدومه من بلاد الجوق وقد أوقع بقوم من الجناة، وقد وظّف الفعل الماضي (رَغَا) ليفيد التّقرير ونقل الأحداث، ففي هذا البيت من القصيدة يصف قوّة المتوكّل وجنوده في إصدارهم رغاء أرعب العدو فجعلهم سكارى، والرّغاء في أصله صوت الإبل لكنّ الشّاعر استعار هذه الصّفة وألحقها بالعقاب هنا، واستعمل أيضا لفظ السّقب وهو عادة يطلق على الذّكر من ولد الناقة لكنه أطلقه في هذا البيت على طائر العقاب.

4- في ذكر القطا

❖ **يقول ابن الحداد الأندلسي:**[23]

ت1- أَقْبَلْنَ فِي الحِبَرَاتِ يَقْصِرْنَ الخُطَى وَيُرِينَ فِي حُلَلِ الوَرَاشِيْنِ القَطَا
سِرْبُ الجَوَى لاَ الجَوّ، عُوِّدَ حُسْنُهُ أَنْ يَرْتَعِي حَبَّ القُلُوبِ وَيَلْقُطَا
مَـــالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ مِنْ سُكْرِ الصِّبَا مَيْلاً يُخِيـــفُ قُدُودَهَا أَنْ تَسْقُطَا

وظّف ابن الحدّاد الأندلسيّ في التّركيب (ت1) جملة من الأفعال (أَقْبَلْنَ، يَقْصِرْنَ، يُرِينَ، يَرْتَعِي، يَلْقُطَا، مَالَتْ، يُخِيفُ) لينقل صورة معيّنة إلى ذهن المتلقّي مفادها أن الفتيات ومن بينهم محبوبته يتبخترن في ثيابهنّ المزركشة، فيشبههنّ في مشيهنّ بطائر القطا، والعرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها.

لقد اعتادت تلك الفتيات ومن بينهنّ محبوبته أن تحرق سويداء القلب، وهنا يشبّهها بالقطا التي بدل أن ترتعي (ترعى) الحبّ ارتعت حبّ القلوب، وأنْ ليس مجالها الجوّ بل الجوى، لقد جعل الشّاعر الصّبا مداما مذهبة للعقول.

ويقول ابن الحداد أيضا:[24]

ت2- وَيَا لَكَ مِنْ نَهْرٍ صَؤُولٍ مُجَلْجِلٍ كَـــــــــأَنَّ الثَّرَى مُزْنٌ بِهِ دَائِمُ الرَّعْدِ
وَقَدْ وَرَدَتْ فِي غَمْرِهِ نُهَلُ القَطَا كَمَا ازْدَحَمَتْ فِي كَفِّهِ قُبَلُ الوَفْدِ

يصف ابن الحدّاد في التّركيب (ت2) الطّبيعة في معرض مدحه للمعتصم، وقد وظّف الفعلين في صيغة الماضي (وَرَدَتْ، ازْدَحَمَتْ)، ليخبر عن أحداث معيّنة ترسم صورة في ذهن المتلقّي إذ يظهر هنا الشّاعر ممدوحه بحرًا من الجود، فيشبّه ازدحام النّاس وهم يقبّلون راحته تعبيرا عن شكرهم إيّاه لفضله بازدحام القطا العطاش وهي ترد الماء للارتواء منه، ويعرف على القطا تميّزها بالنّظام في الطّيران وكذلك تميّز الجمع بالنّظام في تقبيلهم يد الملك.

❖ **يقول ابن خفاجة الأندلسي:**[25]

ت3- وَقَدْ طَلَعَتْ لِلشّيبِ بِيضُ كَـــوَاكِبٍ أُقَـــــلِّبُ فِيـــهَا نَاظِـــــــرِي أَتَـــــــخَرَّصُ
كَأَنْ لَمْ أُقَبِّلْ صَفْحَةَ الشَّمْسِ لَيْلَةً وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِي دُونَهَا الشَّمْسَ أَخْمَصُ
وَلَا بِتُّ مَعْشُـــوقًا تَطِيرُ بِأَضْلُعِي قَطَـــــــاةُ لَهَا بَيْـــنَ الجَـــوَانِحِ مَفْحَصُ

وظّف ابن خفاجة في التّركيب (ت3) جملة من الأفعال تتراوح بين صيغتي الماضي والمضارع (طَلَعَتْ، أُقَلِّبُ، أَتَخَرَّصُ، أُقَبِّلْ، يَنْتَعِلْ، بِتُّ، تَطِيرُ)، ليخبر عن وقائع ثابتة تفيد بأن رؤيته للشّيب يزيّن رأسه - واستعار له هنا الكوكب للدّلالة عليه – قد جعله في موضع الشكّ لا اليقين إذ طالما تباهى و زها بنفسه كأنّه فوق الشّمس لا يلامس باطن قدمه الأرض، معشوقا من قبل محبوبته التي يشبّهها بالقطاة واستعمل لفظ المفحص وهو موضع تقلّب فيه القطاة التّراب وتكشفه تبيض فيه، ثم يخبر عن ما حلّ به من كبر وتلك الأيام دول، والغرض الإنجازي العامّ هنا هو التّقرير.

❖ **يقول ابن زيدون:**[26]

ت4- سَلِ المَعْشَرَ الأَعْدَاءَ إِنْ رُمْتَ صَرْفَهُمْ عَنِ القَـــصْدِ إِنْ أَعْيَـــــاكَ مِنْهُ مَـــرَامُ
أَتَـــوْكَ كَأَسَـــــادِ الشَّرَى فَرَدَدْتَـــــهُمْ كَـــمَا أَجْـــفَلَتْ وَسْـــطَ الفَـــلَاةِ نَعَامُ
مَضَـــوْا يَسْـــأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُـــمْ فَيُخْـــبِرُهُمْ بِالمُـــبْـــكِيَاتِ عِصَامُ
وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِـــبُ العُذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْـــلِ الـقَطَا لَوْ يُتْـــرَكُونَ لَنَامُوا

وظّف ابن زيدون في التّركيب (ت4) جملة من الأفعال (رُمْتَ، أَعْيَاكَ، أَتَوْكَ، فَرَدَدْتَهُمْ، أَجْفَلَتْ، مَضَوْا، يَسْأَلُونَ، يُخْبِرُهُمْ، ضَاقَ، يُتْرَكُونَ) ليخبر عن واقع معيّن عمد فيه إلى مدح محمّد بن جهور وشكر باديس صاحب غرناطة يوجّه خطابه إليه: سل جماعة الأعداء إذ أردت إبعادهم عن غايتهم وقد عجزت عن إصلاحهم وردّهم عن ضلالهم، لقد أتوك كأسود الغاب فرددتهم كما أجفلت النّعامة وسط الصّحراء، والنّعامة مشهورة بخوفها السّريع، مضى الأعداء هاربين يسألون النّاس: ما وراءك عصام؟ فيخبرهم النّاس ما يبكيهم، ويخبر ابن زيدون هنا بأنّ هؤلاء النّاس لا ينقصهم عذر فيما أتوا له، فقد حملوا على مكروه لا يريدونه وهم تماما كطائر القطا: لو تركوا لناموا وهذا مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

5- في ذكر القمريّ

❖ **يقول ابن الحداد الأندلسي:**[27]

ت1- وَفِي ذَلِكَ الوَادِي رَشًا أَضْلُعِي لَهُ كِنَاسٌ، وَقُـــمْرِيٌّ فُؤَادِي لَهُ وَكْـنُ

يخبر ابن الحدّاد في التّركيب (ت1)عن واقع معيّن ينقل من خلاله تصوّرا إلى المتلقّي، مفاده أنّه قد جعل أضلعه مكانا آمنا لنويرة التي يشبّبها هنا بالظّبي الصّغير، كما يجعل قلبه مستراحا دافئا لها ويشبّهها هنا بطائر القمريّ وهو طائر حسن الصّوت.

❖ **يقول ابن زيدون:**[28]

ت2- أَوْطَارُ المُنَى تُـقْضَـى وَأَسْبَابُ الهَوَى تَنْفَعْ

فَمِنْ أَدْمَانَةٍ تَـــــعْطُو وَمِنْ قُمْـــــرِيَّةٍ تَسْجَعْ

ينقل ابن زيدون في التّركيب (ت2) إلى ذهن المتلقّي صورة واضحة من خلال استعماله لجملة من الأفعال (تُقْضَى، تَنْفَعْ، تَعْطُو، تَسْجَعْ) غرضها الإنجازيّ العامّ هو التّقرير، إذ يقرّ ابن زيدون بأن أسباب الهوى تشفع له وتجعله يسعى إلى أن يصل محبوبته، التي يشبّهها بظبية تتطاول للشّجرة وكذا بقمريّة تنادي فيسمع صوتها.

❖ **يقول ابن حمديس الصقلي:**[29]

ت3- يَا صَارِمَ الدِّينِ الذِي فِي حَدِّهِ مَـــوْتٌ يَبِيـــدُ بِهِ عِـدَاهُ ذُبَاحُ

طَوَّقَـتْنِـي يُمْـــنًا فَرُحْـتُ كَأَنَّـــنِي بِالمَـــــدْحِ قُمْـرِيٌّ لَهُ إِفْـصَاحُ

يمدح ابن حمديس في التّركيب (ت3) الأمير عليّ بن يحي، موظّفا جملة من الأفعال (يَبِيدُ، طَوَّقَتْنِي، فَرُحْتُ) يخبر من خلالها عن واقع معيّن يصف فيه الممدوح بأنّه قويّ صلب الدّين، شبّهه بالسّيف في حدّه موت العدوّ ذبحا، مخبرا بأنّه قد غمره بركة حتّى غدا الشّاعر مثل القمريّ إفصاحا في المدح وعادة ما يرتبط فعل الإفصاح بطائر الحمام – والقمريّ نوع من الحمام-

❖ **يقول أبو إسحاق الإلبيريّ :**[30]

ت4- وَتَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ يَبْكِي بُـكَاءَ الوَاكِفَـــاتِ الهُتُـــنْ

تَخَـــالُهُ بُـــيْنَ يَدَيْ رَبِّـــهِ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ كَمِثْلِ الغُصُـــنْ

إِنْ مَهَّدَ النَّاسُ لِدُنْيَاهُمُ شَمَّـــــــرَ فِي تَمْهِيـــدِهِ لِلْجَـــــنَنْ

كَأَنَّـــــــــمَا الأَرْضُ لَهُ وَهُـــوَ بِهَا قُمْـــــــــــرِيَّةٌ فِي فَنَنْ

وظّف أبو إسحاق الإلبيريّ في التّركيب (ت4) جملة من الأفعال زاوج فيها بين الماضي والمضارع (يَبْكِي، تَخَالُهُ، مَهَّدَ، شَمَّرَ)، ليعبّر عن واقع معيّن ينقل صورة واضحة إلى ذهن المتلقّي، شبّه فيها الرّجل التّائب العابد بطائر القمريّ، لأن القمريّ كثير التّغريد وكذلك التّائب فهو كثير ذكر الله عز وجلّ، ويشبّه التّسبيح في ترداده بتغريده ومن هنا سمّي في الشّام بالكريم إذ قالوا إنّه يدعو: يا كريم ، يا كريم.

6- في ذكر الطّاووس

❖ **يقول ابن الحداد الأندلسي:**[31]

ت1- نَوَى أَجْرَتِ الأَفْلَاكَ وَهْيَ النَّوَاعِجُ وَأَطْلَعَتِ الأَبْرَاجَ وَهْيَ الهَوَادِجُ

طَوَاويـسُ حُسْنٍ رَوَّعَـــــــتْنِي بِبَيْنِهَا غَرَابِيـــبُ حُزْنٍ بِالفِرَاقِ شَوَاجِجُ

وظّف ابن الحداد الأندلسيّ في التّركيب (ت1) أفعالا في صيغة الماضي (أَجْرَتْ، أَطْلَعَتْ، رَوَّعَتْنِي) يخبر من خلالها عن واقع معيّن، فقد استفتح مديحه للمعتصم بن صمادح على طريقة شعراء الجاهليّة، فوصف رحلة محبوبته وانتقالها إلى بلد غير الذي تقيم فيه، كما كانت الأعراب تنتوي في باديتها ولسرعة ناقتها وارتفاع هودجها فقد جارت الأفلاك والأبراج، وشبّهها بالطّاووس بجامع الجمال من جهة والإعجاب بالنّفس من جهة أخرى، ويتشاءم ابن الحدّاد لدى رحيل محبوبته، فتبدو صورة الحاضر والمستقبل أمامه قاتمة كالحة، مما يذكّره بأصوات الغربان التي تنذر دائما بالفراق (ولعله يشبّه نويرة بالغراب بجامع الخبث وذلك لابتعادها عنه وعدم الالتفات إليه).

❖ **يقول ابن اللبانة الداني:**[32]

ت2- بَلَدٌ أَعَارَتْـــهُ الحَـــمَامَـــةُ طَـــوْقَهَا وَكَسَـــاهُ حُلَّـــةَ رِيشَـــــةُ الطَّـــــاوُوسِ

يخبر ابن اللّبّانة في التّركيب (ت2) عن واقع معيّن وظّف من خلاله الفعلين (أَعَارَتْهُ، كَسَاهُ)، لينقل إلى ذهن المتلقّين أحداثا معيّنة عن بلده الذي يفتخر به لجماله وكأنّ طوق الحمامة يزيّنه وكساه حلّة ريشة الطّاووس، وجاء توظيف طائر الطّاووس مناسبا للدّلالة على جمال البلد فجمال ريش الطّاووس باهر بألوانه وشكله.

7- في ذكر المكّاء

❖ **يقول ابن الزّقّاق البلنسيّ:**[33]

ت1- وَرَجَّعَ المُـــكَّاءُ تَحْنِيـــــــــنَهُ حَتَّى حَسِـــــبْنَاهُ حَلِيـــفَ اشْتِـــيَاقْ

فِي رَوْضَةٍ عَلَّمَ أَغْصَانُهَا أَهْلَ الهَـــوَى العُذْرِيِّ كَيْفَ العِنَاقْ

وظّف ابن الزّقّاق البلنسيّ في التّركيب (ت1) أفعالا في صيغة الماضي (رَجَّعَ، حَسِبْنَاهُ، عَلَّمَ) غرضها الإنجازيّ العام التّقرير، إذ يقرّ بأنّ تغريد طائر المكّاء قد جعله وجلساءه يحسبونه صاحب شوق، كأنّه إنسان في روضة تعانقت أغصانها وتشابكت، حتى أصبحت مثالا لأهل الهوى العذريّ في الوفاء و كيفيّة العناق.

8- في ذكر القشاعم

❖ **يقول ابن حمديس الصقلي:**[34]

ت1- وَمُقْتَحِمُ الأَبْطَالِ يَـــبْرُقُ بِالرَّدَى وَتَخْفِقُ فِي آفَاقِهِ عَـــــذَبُ النَّـــصْرِ

مُحَلِّقَةٌ فِي الجَوِّ مِنْهُ قَشَـــــــــاعِمٌ كَـــــــأَنَّ شَرَارًا حَشْوُ أَعْيُـــنِهَا الخُزْرِ

تَرُوحُ بِطَانًا مِنْ لُحُومِ عُـــــــــــدَاتِهِ فَمَا لِقَتِيلٍ خَرَّ فِي الأَرْضِ مِنْ قَبْرِ

وظّف ابن حمديس في التّركيب (ت1) جملة من الأفعال في صيغة المضارع (يَبْرُقُ، تَخْفِقُ، تَرُوحُ) والمضارع يفيد الحال والمستقبل، يمدح من خلالها الأمير يحي بن تميم بن المعزّ، واصفا إيّاه بالقوّة إذ تحلّق في أجوائه قشاعم وهي صغار النّسور يملأ أعينها الشرّ، هذه النّسور تأكل جثث قتلى العدوّ فما تبقي حاجة لقبر ميّت، وجاء توظيف القشاعم مناسبا لهذا الموقف إذ إنّها تتغذّى عموما على الجيف في سائر أيّامها.

ويقول:[35]

ت2- وَكَتِيبَةٍ كَتَبَتْ صُدُورُ رِمَاحِـــــــــــــهَا لِلمَوْتِ فِي صُحُفِ الحَيَازِمِ أَسْطُرَا

مُلِئَتْ بِهَا الحَرْبُ العَوَانُ ضَرَاغِمًا وَصَنَـــــلَادِمًا وَقَـــــــشَاعِمًا وَسَـــــنَوَّرَا

يصف ابن حمديس في التّركيب (ت2) كتيبة قويّة من الجيش سطّرت في التّاريخ قوّتها إذ كان جنودها في الحرب كالضّراغم بمعنى الأسود القويّة الشّجاعة، وكانوا كالصّلادم وهي الدّابة قويّة الحافر، كما شبّههم بالقشاعم وهي النّسور في قوّتها ، كما كانوا سنوّرا وهو لبوس من سير يلبس في الحرب كالدّرع إذ كانت هذه الكتيبة ترتدي لباس الحرب.

9- في ذكر الصّقر

❖ **يقول ابن خفاجة الأندلسي:**[36]

ت1- تَأْتِي صُقُورٌ مِنْهُمُ مُنْقَضَّةٌ قَــدَرًا عَلَى مُهَــجِ العَدُوّ مُــــتَاحَا
وَتَخَايَلَتْ بِهِمُ الجِيَادُ كَأَنَّــمَا شَرِبَتْ مَعَاطِفَ كُلِّ طِرْفٍ رَاحَا

يخبر ابن خفاجة في التّركيب (ت1) عن أحداث معيّنة من خلال الأفعال (تَأْتِي، تَخَايَلَتْ، شَرِبَتْ)، تنقل إلى ذهن المتلقين أحداثا واضحة مفادها وصف معركة شبّه فيها الجنود بالصّقور في القوّة والشّجاعة - الصّقر من أقوى الطيور الجارحة على الإطلاق- وقد صارت جيادهم لنشوة النّصر تهتزّ كمن أطرب بالخمر فراح يترنّح طربا.

❖ **يقول ابن زيدون:**[37]

ت2- كَأَنْ لَمْ تَسِرْ حُمْرُ المَنَايَا تُظِــلُّهَا إِلَى مُهَــجِ الأَقْـيَالِ رَايَــــاتُهُ الحُمْرُ
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الهُدَى فَلَمْ يُرْضِــــهِ إِلَّا أَنِ ارْتُــجِعَ الثَّغْرُ
وَلَمْ يَتَــشَــذَّرْ لِلأُمُــورِ مُجَــلِّيًا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ المَرْقَبِ الصَّقْرُ

أنشد ابن زيدون في التّركيب (ت2) قصيدة يمدح فيها المعتمد راثيا أباه المعتضد بالله ذاكرا مناقبه، فقد كان يسير كالموت نحو أعاديه من ملوك حمير وغيرهم، ولا يرضى إلّا باستعادة الثّغور المسلوبة من الأعادي، يشبّهه بالصّقر الطّير الجارح في عليائه (**مرقبه**: مكان مراقبة الصّقر) يرقب فريسته.

ويقول ابن زيدون أيضا:[38]

ت3- وَلَا يُغْبِــطُ الأَعْــدَاءَ كَوْنِيَ فِي السِّــجْــنِ
فَإِنِّي رَأَيْــتُ الشَّــمْسَ تُحْــصَــنُ بِـالدَّجْـنِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ العَضْبَ فِي جَفْنِ
أَوِ اللَّيْثَ فِي غَابٍ أَوِ الصَّقْرَ فِي وَكْنِ
أَوِ العِلْقَ يُخْفَى فِي الــــــصِّوَارِ وَيُــخْبَأُ

أنشد ابن زيدون في التّركيب (ت3) مجموعة من الأبيات وهو في السّجن موظّفا جملة من الأفعال (يُغْبِطُ، رَأَيْتُ، كُنْتُ) يخبر من خلالها المتلقّين بأنّه يذكر قرطبة وأيّام صباه فيها، و يوجّه خطابه لأعدائه بأن لا يفرحوا لكونه مسجونا لأنّه عمّا قريب سيخرج إليهم، يشبّه نفسه بالشّمس تحجبها الغيوم، وبالسّيف القاطع في غمده، وكذا باللّيث في الغاب والصّقر القويّ في الوكر وكذلك هو يشبّه نفسه بالمسك في وعاء حفظه، إن هذه التّشبيهات كلّها تنبئ عن أن الغياب مؤقّت وأن الخروج محقّق.

❖ **يقول ابن حمديس الصقلي:**[39]

ت4- حَيَاةُ ابْنِ يَحْيَ لِلأَعَادِي مَنِيَّةٌ وَأَعْمَــــارُهُمْ مَبْثُورَةٌ مِنْهُ بِالعَــــــــمْرِ
لَقَدْ فَخَرَتْ مِنْهُ العُلَى بِسَــمَيْذَعٍ لِإِحْسَــــــانِهِ وَجْهٌ تَبَرْقَــــــــعَ بِالبِشْرِ
بِأَكْبَرَ يَسْتَــــــــخْذِي لَهُ كُــلُّ أَكْبَرٍ فَيُــــطْرِقُ إِطْرَاقَ البُغَاثَةِ لِلصَّــقْرِ
إِذَا مُدِحَ الأَمْلَاكُ قَامَ بِمَدْحِــهِ لَهُ قِدَمُ الدُّنْــــيَا عَلَــى قِدَمِ الفَخْــرِ

أنشد ابن حمديس الصّقليّ هذه الأبيات في التّركيب (ت4) مهنّئا عليّ بن يحي فحياة هذا الأمير موت في عين أعاديه، تفخر به العلى لكرمه وجوده كأنّ وجهه مغطّى بالبشر، يذلّ له كلّ كبير فيطرق تماما كما تطرق البغاثة للصّقر(والبغاث طائر صغير لونه لون الغبار، بطئ الطّيران، طويل العنق) وللمتلقّي أن يتخيّل كيف يطرق الآخرون للأمير كما ينحني البغاث بضعفه للصّقر بقوته.

10- في ذكر البلابل

❖ **يقول ابن زيدون:**[40]

ت1- إِنْ تَــغَنَّى البُــلْبُلُ اهْتَــا جَ غِنَــاءَ الوَرَشَــانِ
فَــتَــأَدَّى مِنْــهُ بَيْــتَا غَــزَلٍ مُنْــفَــــرِدَانِ
لِمُــحِبٍّ فِي حَبِــــيبٍ عَنْــــهُ نَــاءٍ مِنْهُ دَانِ:
يَا بَعِيــدَ الدَّارِ مَوْصُــو لًا بِقَلْــبِي وَلِسَــانِي
رَبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْــــــ رُ فَأَدْنَتْــــكَ الأَمَــانِي

أنشد ابن زيدون هذه الأبيات في قصيدة ردّا على رسالة أرسلها له الوزير الفقيه أبو طالب بن مكي تحوي بيتين من الشّعر يقول فيهما:

يَا بَعِيـــــدَ الدَّارِ مَوْصُـــو لًا بِقَلْـــــــبِي وَلِسَـــــــــــــانِي
رَبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْـــــــــــ رُ فَأَدْنَتْـــــــكَ الأَمَـــــــــانِي

يخبر ابن زيدون بأن غنّاء البلبل قد ذكّره بغناء نوع من الحمام - يتميّز بوجود بياض فوق ذنبه – حرّك فيه ملكة الشعر فأنشد بيتين شعريين لمُحِبٍّ في حَبِيبٍ.

يقول ابن حمديس الصقلي:[41]

ت2- وَمَا أَرَّقَ الأَجْـــــــفَانَ إِلَّا بَلَابِـــــــــلٌ تُسَـــــــامِرُهَا بَـيْنَ الضُّـلُوعِ بَلَابِـلُ
رَقِيـــقَةُ أَطْـــــرَاقِ الغِـــــــنَاءِ كَأَنَّهُ إِذَا طَـــافَ بِالأَسْمَاعِ جَرْسُ الخَلَاخِـلِ

وظّف الشّاعر في التّركيب (ت2) جملة من الأفعال (أَرَّقَ، تُسَامِرُهَا، طَافَ) تنقل إلى ذهن المتلقّي صورة معيّنة مفادها بأن أصوات البلابل قد أسهرت أجفانه ومنعته النّوم، إذ إنّها تتفاعل مع ما يختلج صدره من أحاسيس يصفها بأنّها رقيقة الصّوت كصوت جرس الخلاخل التي تتزيّن بها المرأة عادة، وتعرف البلابل بأنها جميلة الألوان، حسنة الصّوت.

11- في ذكر النسر

❖ **يقول ابن خفاجة الأندلسي:**[42]

ت1- وَصَهْوَةِ عَزْمٍ قَدْ تَمَـطَّيْتُ وَالدُّجَـى مُكِبٌّ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي صَـدْرِهِ سِرُّ
وَأَشْـــــــرَفَ طَمَّاحُ الذُّؤَابَةِ شَامِـخٌ تَـــنَطَّقَ بِالجَوْزَاءِ أَيْلَا لَـــــــهُ خَصْرُ
وَقُورٌ عَـــلَى مَرِّ اللَّيَـــــــالِي كَـــأَنَّمَا يُصِيـــخُ إِلَى نَجْوَى وَفِي أُذْنِهِ وَقْرُ
وَلَاذَ بِهِ نَسْرُ السَّـــــــــــــــمَاءِ كَأَنَّمَا يَحِـــنُّ إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ الـــــــــنِّسْرُ

يصف ابن خفاجة الأندلسيّ في التّركيب (ت1) وقائع معينة عايشها من خلال جملة من الأفعال (تَمَطَّيْتُ، أَشْرَفَ، تَنَطَّقَ، يُصِيخُ، لَاذَ، يَحِنُّ)، ينقل من خلالها صورة إلى ذهن المتلقّين تفيد بأنّه امتطى فرسه واللّيل مخيّم والصّبح غير ظاهر، فهو كالسرّ في صدر صاحبه وقد رأى من بعيد طمّاح الذّؤابة ويقصد به الجبل ويصفه بالشّموخ والثّبات كأنّه رجل وقور يستمع رغم ما به من صمم، ثم ينطلق إلى توظيف طائر النّسر ويعرف عنه أنه يسكن الجبال العوالي فكأنّما يحنّ هذا النّسر إلى وكر بذلك الجبل.

❖ **يقول ابن زيدون:**[43]

ت2- وَفِي نَـــفْسِهِ العَـــلْيَـــاءِ لِي مُتَبَـــوَّأٌ يُنَـــافِسُـــنِي فِيهِ السِّـــمَاكَـــانِ وَالنِّـــسْرُ

يخبر ابن زيدون في التّركيب (ت2) بأن له مكانة مرموقة ورفيعة جدا عند ممدوحه –المعتمد بن عباد- حتى إن السّماكان وهما كوكبان وكذلك النّسر برفعته ينافسونه تلك المكانة عند الملك، وجاء توظيف النّسر هنا ملائما جدّا إذ يعرف هذا الطّائر بتحليقه العالي جدّا وسكناه في أعالي الجبال.

❖ **يقول ابن الزقاق البلنسي:**[44]

ت3- تَعِسَ الزَّمَـــــــــانُ فَإِنَّـــمَا أَيَّـــامُـهُ وَمَـــقَامُنَا فِي ظِـــــــــــلِّهَا أَحْـــلَامُ
لِتَرَى الدِّيَارَ وَهُنَّ بَـــــعْدَ أَنِيسِـهَا دُرُسُ المَعَالِمِ وَالجُـسُـــومُ رِمَـامُ
وَالنِّسْرُ مُقْتَنَصٌ بِأَشْرَاكِ الرَّدَى وَبَنَاتُ نَـــعْشٍ فِي الدُّجَـى أَيْتَامُ

يبدو ابن الزّقّاق من خلال أبياته في التّركيب (ت3) ذا نفسيّة سيّئة جدّا فكلّ آماله تحوّلت إلى أحلام في ظلّ هذا الزّمن الذي يصفه بالتّعاسة، حتّى إنّ النّسر وهو اسم لنجم عال صار فريسة لأشراك الرّدى واستعارة اسم طائر النّسر لهذا النّجم تأكيد آخر لارتباط ذكر النّسر عموما عند الشّعراء بالارتفاع والعلو.

12- في ذكر الحجل

❖ **يقول المعتمد بن عباد:**[45]

ت1- وَسَاعَةٍ لِلزَّمَـــــــانِ مُسْعِفَةٍ قَنَـصْتُ فِيهَا أَرَانِـــــــــــــــبًا وَحَجَلْ
فَلَا أَرَانِي الإِلَهُ مِنْكَ رِضًا إِنْ لَمْ أَصِدْ مِنْ عِدَاكَ كُلَّ بَطَلْ

وظّف المعتمد بن عبّاد في التّركيب (ت1) جملة من الأفعال في زمن الماضي الذي يفيد عموما التّقرير (قَنَصْتُ، أَرَانِي،- لَمْ أَصِدْ) ليخبر عن أحداث معينة حصلت معه في خطاب وجّهه إلى أبيه يخبره

فيه بأنه يطمح لرضاه وأنّه يقف في وجه كل عدوّ يهدّده ويقنصه، تماما مثلما يقنص في أيّامه طائر الحجل.

13- في ذكر الهدهد

❖ **يقول ابن الحدّاد الأندلسيّ:**[46]

ت1- وَقَدْ هَوَتْ بِهَوَى نَفْسِي مَهَا سَبَإٍ فَـــهَلْ دَرَتْ مُضَرٌ مَنْ تَيَّمَتْ سَبَأُ
كَأَنَّ قَـلْـــبِي سُـــلَيْمَـــانُ وَهُـــــدْهُدُهُ لَحْظِي وَبِلْقِيسُ لُبْنَى وَالْهَوَى النَّبَأُ

يخبر ابن الحدّاد في التّركيب (ت1) عن أحداث معيّنة عايشها من خلال توظيف أفعال في صيغة الماضي (هَوَتْ، دَرَتْ) يقرّ بما وقع له مع محبوبته، فكما كان سبأ يسبي العدوّ فيأسره، كانت محبوبته تسبي قلبه وتأسره بحبّها، يتساءل الشّاعر هل تدري قبيلتي أن نويرة استعبدتني بهواها حتى أضعفت نفسي وذلّلتني؟

فكأنّ قلب الشّاعر هو سيّدنا سليمان لما تفقّد الطّير فلم يجد الهدهد - لحظُ الشّعر- في البيتين، لقد جاء لحظ الشاعر بنبإ المحبوبة وهواها، إذ تأثّر الشّاعر بقوله تعالى:{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} النّمل 20-22.

يقول ابن الحدّاد كما فقد سليمان هدهده فقد فقد قلبي نويرة ولم يعد لحظي يراها وكما أنّ سليمان زوّج بلقيس هدد بن همال أحد ملوك حمير فإنّ أحد القساوسة سوف يزوّج لبنى (نويرة) أحد المستعربين، وبذلك أكون قد حرمت منها ويصبح حبّي أخبارا تروى على شفاه أهل الأندلس.

14- في ذكر طائر الحدأة

❖ **يقول ابن الحداد الأندلسي:**[47]

ت1- تَحِيدُ عَنْ أُفْقِكَ الأَمْلَاكُ مُجْفِلَةً وَلَا تُحومُ حَيْثُ اللَّقْوَةُ الحِدَأُ

ينقل الشّاعر في التركيب (ت1) إلى ذهن المتلقّي صورة محددة عن واقعة معيّنة، عن طريق توظيف الفعلين المضارعين (تَحِيدُ، تَحُومُ)، يخبر من خلالها أن ملوك الطّوائف لن يجرؤوا على الوقوف في طريق المعتصم بن صمادح، وقد شبّه ابن الحدّاد ممدوحه وهو في المعترك يمتطي جواده بعقاب خفيف الحركة ويشبّه ملوك الطّوائف بطيور الحدأة إذ تتحاشى الاقتراب من طائر اللقوة وهو العقاب.

15- في ذكر طائر العنقاء

❖ **يقول ابن الحداد الأندلسي:**[48]

ت1- وَتِـــلْكَ عَنـــقَـــاؤُنَا وَافَـــتْـــكَ مُغْـــرِبَةً بِحُسْنِهَا فَاسْتَوَى العِقْـــبَانُ وَالحِـــــــدَأُ
بِدْعٌ مِنَ النَّظْمِ مَوْشِيُّ الحُلَى عَجَبٌ تُنْـسِي الفُحُولَ وَمَاحَـاكُوا وَمَا حَكَأُوا

وظّف ابن الحدّاد الأندلسيّ في التّركيب (ت1) طائر العنقاء وهو طير غريب يبعد في طيرانه، يقول القزوينيّ: العنقاء أعظم الطّير جثّة وأكبرها خلقة، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر.[49]

يريد الشّاعر بالعنقاء هنا شعره فيخبر المتلقّي بأنّه - شعره- قد جاء عجيبا غريبا لا مثيل له فهو في إبداعه وحسنه يتميّز عن غيره من المنظوم، كالعقاب والحدأة التي تتميّز عن غيرها من الطّيور، كما يخبر أن شعره بديع مُحكم السَّدى واللُّحمة، أنسى فحول الشّعراء وما نظموه من شعر وقد وظّف الشّاعر جملة من الأفعال (وَافَتْكَ، اسْتَوَى، حَاكُوا، حَكَأُوا) جاءت في زمن مضى وغرضها الإنجازيّ العامّ هو التّقرير، إذ تنقل هذه الأفعال لذهن المتلقّي صورة محدّدة عن واقعة معيّنة.

❖ **يقول أبو إسحاق الإلبيري:**[50]

ت2- أَيُّ خَيْرٍ لِوَالِدٍ فِي بَنِيهِ وَهُوَ عَنْهُمْ يَفِرُّ يَوْمَ الجَزَاءِ
وَالتَّقِيُّ المُوَفَّقُ البَرُّ مِنْهُمْ عَـــدَمٌ كَالسَّـــــمَاعِ بِالعَـــــنْقَاءِ

اقتبس الإلبيري البيتين في التّركيب (ت2) من قوله تعالى:{ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ۝ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.[51]

ليخبر المتلقّي بأنّ التّـقـيّ الموفّق قليلٌ وربّما عدمٌ مثل السّماع بطائر العنقاء، والأمم كلها تضرب المثل بهذا الطّائر في الشّيء الذي يُسمَع به ولا يُرَى.

يلاحظ على ما ذكر من أبيات شعريّة ورد فيها ذكر الطّيور أن شعراء القرن الخامس الهجريّ قد ذكروا أنواعا كثيرة من الطّيور، ولعلّنا تعمّدنا عدم ذكر طائر الحمام لكثرة وروده وذلك لنتيح الفرصة لذكر أنواع أخرى من الطّيور.

إن الغرض الإنجازيّ للإخباريّات هو نقل المتكلّم لواقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضيّة يعبّر بها عن هذه الواقعة وقد لمسنا هذا في مختلف الأبيات التي أوردناها، فالشّعراء كلٌّ يعبر عن واقعة معيّنة بطريقة معيّنة وقد تشابهت الدّلالات واختلفت في بعض الأحيان، ولكن يبقى في الأخير حضور الطّير رمزا مميّزا جدّا لهذه الفترة من الأدب الأندلسيّ، التي سطع فيه نجم وصف الطّبيعة بمختلف تجليّاتها السّاكنة، الصّامتة والمتحرّكة، لقد حقّقت النّماذج المختارة الهدف من الإخباريّات في تطويع المتكلّم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النّفسيّة هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوّة.

لقد نقل الشّعراء الوقائع نقلا أمينا وعبّروا عنها تعبيرا صادقا، فإذا ما تحقّقت الأمانة في النّقل فقد تحقّق شرط الإخلاص وإذا تحقّق هذا الأخير أنجزت الأفعال إنجازا تامّا أو ناجحا وإلّا اعتبرت مجرّد أخبار لا معنى لها، ونلمس ذلك من خلال العبارات التي اختارها الشّعراء.

الإحـــالات والهـــوامـــش:

1- سورة النّحل، الآية .79

2- (أبو حيّان الأندلسيّ) محمّد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، د وتح وتع عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمّد العوضيّ، ط1، ج5، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، 1993، ص .506

3- عبد الله بن محمّد: حكايات الطّيور بين الشّعوب، المجلّة العربيّة، مجلة الثّقافة العربيّة، ع 450، مايو 2014، ص .73

4- عبد الله بن محمّد: المرجع السّابق، ص 74.

5- عبد الله بن محمّد: المرجع نفسه، ص 75.

6- عبد الله بن محمّد: المرجع نفسه، ص 75.

7- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، دط، 2002، ص 78- 79.

8- فيليب بلانشيه: التّداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللّاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 66.

9- خليفة بوجادي: في اللّسانيات التّداولية مقاربة بين التّداولية والشّعر دراسة تطبيقيّة، بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2012، ص 147.

10- ابن الحدّاد الأندلسيّ: ديوان ابن الحدّاد الأندلسيّ ج وتح وش يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 231.

11- ابن خفاجة الأندلسيّ: ديوان ابن خفاجة الأندلسيّ تح عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 42-43.

12- ابن خفاجة الأندلسيّ: المرجع السابق، ص 62.

13- ابن دراج القسطليّ: ديوان ابن دراج القسطليّ تح محمود عليّ مكّي، منشورات المكتب الإسلاميّ، دمشق، سوريا، ط1، 1961، ص .16

14- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون تح عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 139.

15- عبد الجبّار بن أبي بكر بن محمّد بن حمديس الصّقليّ السرقوسيّ ، ديوان ابن حمديس تح چلستينو سيكيپاريلّلي، طبع في روميّة الكبرى، 1897، ص42.

16- ابن حمديس الصقليّ، المرجع السّابق، ص .77

17- ابن اللّبّانة الدّانيّ: ديوان ابن اللّبّانة الدّانيّ تح محمد مجيد السّعيد، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ط2، 2008، ص 132.
18- المعتمد بن عبّاد: ديوان المعتمد بن عباد تح أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، المطبعة الأميريّة، القاهرة، مصر، دط، 1951، ص 100.
19- ابن حمديس، المرجع السّابق، ص 43.
20- ابن خفاجة الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 279.
21- ابن الزّقّاق البلنسيّ: ديوان ابن الزّقاق البلنسيّ، تح عفيفة محمود ديواني، أطروحة قدّمت للدّائرة العربيّة في الجامعة الأمريكيّة في بيروت للحصول على شهادة الماجستير، 1964، ص 220.
22- ابن اللّبانة الدّانيّ: المرجع السّابق، ص 30.
23- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 232.
24- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 199- 200.
25- ابن خفاجة الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 185.
26- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون، المرجع السّابق، ص 258.
27- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 257.
28- ابن زيدون: المرجع السّابق، ص 281.
29- ابن حمديس الصّقلّيّ، المرجع السّابق، ص 89.
30- أبو إسحاق الإلبيريّ: ديوان أبي إسحاق الإلبيريّ تح محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 115.
31- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 173.
32- ابن اللّبّانة الدّانيّ: المرجع السّابق، ص 76. (ورد هذا البيت أيضا في ديوان ابن حمديس، ص 478).
33- ابن الزّقّاقّ البلنسيّ: المرجع السّابق، ص 160.
34- ابن حمديس الصّقلّيّ: المرجع السّابق، ص 185.
35- ابن حمديس الصّقلّيّ: المرجع نفسه، ص 203.
36- ابن خفاجة الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 78.
37- ابن زيدون: المرجع السّابق، ص 190.
38- ابن زيدون: المرجع السّابق، ص 48.
39- ابن حمديس الصّقلّيّ: المرجع السّابق، ص 196.
40- ابن زيدون: المرجع السّابق، ص 285.
41- ابن حمديس الصّقلّيّ: المرجع السّابق، ص 348.
42- ابن خفاجة الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 118.
43- ابن زيدون: المرجع السّابق، ص 192.
44- ابن الزّقّاق البلنسيّ: المرجع السّابق، ص 266.
45- المعتمد بن عبّاد: المرجع السّابق، ص 41.
46- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 109.
47- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 120.
48- ابن الحدّاد الأندلسيّ: المرجع السّابق، ص 136.
49- كمال الدّين محمد بن موسى الدّميريّ: حياة الحيوان الكبرى تح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، ج3، ط1، 2005، ص 225.
50- أبو إسحاق الإلبيريّ: المرجع السّابق، ص 98.
51- سورة عبس، الآيات من 33 إلى 37.